بدلاً من المقدمة

ينص الهدف الإستراتيجي السابع من الخطة الإعلامية العامة ١٩٩٩/٢٠٠٠ الصادرة من اتحاد الإذاعة والتليفزيون " تحقيق أقصى استجابة ممكنة للحقوق الإعلامية للمتلقي بشكل يضمن التوازن بين تلك الاستجابة من ناحية ودور الإعلام الإذاعي المسموع والمرئي في خدمة أهداف التنمية من ناحية أخرى "

وينص الهدف الإستراتيجي السادس من الخطة على " المعالجة الموضوعية للقضايا المجتمعية والقومية بما يستنفر كل الطاقات المساهمة في الجهود المبذولة في هذا الإطار وإن كان ذلك كذلك فإن الخطة تعترف بالحقوق الإعلامية للمتلقي، وإن الرسالة الإعلامية موجهة لجميع الناس لإستنفار طاقاتهم وإن الرسالة الإعلامية تتسم بالموضوعية ولكن ما زالت التساؤلات التالية تحتاج إلى مناقشة .

-ما مدى انحياز الخطاب الإعلامي لبعض الفئات وبعض الطبقات ؟

-ما مدى انعكاس القيم المرغوبة حضارياً في البرامج التليفزيونية؟

-ما مدى تلبية البرامج لاحتياجات المتلقي ؟

وهذه الدراسة تحاول في ثناياها الإجابة عن تلك التساؤلات بالإضافة إلى تساؤلات أخرى منهجية ولكن نظراً لأن العلم لا يقف عند حد وصف الظواهر والوقائع بل يتعدى هذا الموقف إلى وضع البديل الذي يستهدف تغير ما هو سلبي ذلك لأن " العلم يستهدف تغير الواقع وليس مجرد الوصف " .

لذلك قدمت الدراسة دليل يستهدف التنمية الذهنية يتضمن مجموعة من القيم والمهارات والاتجاهات التي يجب ألا تغيب عن برامج إعداد مرسل الرسالة الإعلامية حتى تصبح من مكوناته ومن ثم يمكنه بثها في رسالة .

يذكر دين كيث سايمنتين Dean Keith Simanton أن البحوث حول الشخصية المبدعة غالباً تشير لأهمية الاهتمامات العربية ،وسعة الأفق ، والحاجة إلى الجدة والتنوع والتركيب بالإضافة إلى القدرة على رؤية العلاقات بين الأفكار والأساليب التي لم ينتبه أحد إلى وجودها من قبل ثم القيام بصهر هذه الأفكار والأساليب في مركب جديد .

وهذا يمكن أن توفره برامج التليفزيون إذا كانت هناك ذهنية للمعدين ومقدمي البرامج متمثلة لتلك الحقائق ومتمكنة من تسريب واستدماج / إدخال هذه الحقائق في المادة الإعلامية المقدمة سواء كانت حديث أو فيلم موجه للمتلقي ولكن بطريقة غير مباشرة حيث يمكن تضمين الاتجاهات والقيم الضمنية المستهدفة (مثل التسامح النسبية،الإبداع،العلمية،المستقبلية) فيما يعرف بالمنهج المستتر / الخفي .

وتستهدف عمليات التنمية الذهنية إعادة تنظيم لقدرات ومهارات وقيم اتجاهات القائمين على تقديم المادة الإعلامية حيث يسهل تنظيمها بشكل يضمن تلقي المستقبل لها بطريقة غير مباشرة ذلك لأن التعليم غير المباشر أثره يستمر أكثر من التعليم القائم على التلقين المباشر فالمتلقي لا يكون في حالة سلبية أثناء المشاهدة فهو يفكر ويقارن ويستوعب ويقوم بكثير من العمليات العقلية الصامتة ويمكن استخدام التليفزيون التفاعلي ثنائي الاتجاه بين المرسل والمستقبل حيث الحوار والاكتشاف الموجه تصبح استراتيجيات رئيسية فيما يسمى بالتعليم التحويلي أو التغيري حيث يمكن تغير رؤى المتلقي للعالم وإثارة وعيه من خلال تبني منظومة قيمية محورها ترسيخ قيم العلمية والمستقبلية القائمة على العقلانية واحترام ذاتية الإنسان وتفرده وهذا يصعب إنجازه بدون تمكين القائمين على إرسال

المادة الإعلامية من المهارات العقلية والاتجاهات والقيم التي تعـــزز هـــذا التوجيه فإن " فاقد الشيئ لا يعطيه " .

تشير دراسات Simonton سايمنتن إلى أن التفوق فـــي التحصيـــل الدراسي لا ينبئ بالضرورة بالنجاح المهني،بل إن دراسة آل غورتس تشـير إلى أن ٦٠% من الشخصيات البارزة كانوا يكرهـــون المدرســـة كمـــا أن أينشتين كان تلميذاً كسولاً ولم يكن يـــهتم بالرياضيـــات ربمـــا لأن الجـــهد المبذول لإكتساب الدرجات / العلامات في المدرسة لا يتيح التـــأمل العميـــق مع ضعف برامج التعلم الذاتي داخل المدرسة ممـــا يجعـــل نمـــو القـــدرات الابداعية صعب التحقق في ظل التنافس على الحصول على الدرجات ،وربما هذا جعل مارجريت ميز عالمة الاجتماع - تقول "عندمـــا أرادت جدتـــي أن تعلمني أخرجتني من المدرسة " وهذا يعني الشوق إلى تعليم يتيـــح كشـــف وتنمية القدرات الابداعية ويرفض الهيمنة والتنميط الذي يقوم بـــه التعليـــم المدرسي هرباً إلى مصادر متنوعة للحصول على تعلـــم يشـــبع اهتمامـــات المتعلم بالطرق الذاتية التي من الممكن أن تنمى عن طريق وسائط التربيـــة المتعددة بالإضافة إلى مؤسسة تعليمية تتيح التنوع من الخـــبرات وتحـــترم ذاتية وتفرد المتعلم ولا تقتل الابداع لمصلحة التذكر وتقتل التعليم والتعلـــم لمصلحة الحصول على الدرجات / العلامات الأعلى وإذا كان محتوى المـــواد التعليمية يستهدف بث أو تعديل أو محو قيم واتجاهات وحقائق ومـــهارات عقلية ويدوية فإن الوسيط التربوي الأول في العالم العربي - التليفزيـــون - يمكن أن يقوم بهذا العمل نظراً لأنه يتوجه إلى جميع الفئات والطبقات فـــي المجتمع كباراً وصغاراً ومتعلمين وأميين ومن الفئات الخاصـــة أو غيرهـــا وإذا كان التليفزيون يعد الوسيط التربوي الرئيسي بالنسبة للفئات الفقـــيرة التي يندر أن تتعامل مع وسائط أخرى فإنه يعد مهماً بالنسبة للأطفال ذلـــك

لأن الأبحاث تؤكد على أن المخ لا يكتمل نموه إلا بعد الميلاد ويستمر هـذا النماء حتى العام الثاني من عمر الطفل كما أن الروابط بين خلايا المخ تتعرض لتغيرات تستمر حتى العاشرة من عمر الطفل . وبالتالي فإن الخبرات الأولى في حياة الطفل ومنها الخبرات الثقافية التعليمية تؤثر في تكوين شخصيته من جهة كما أنها تؤثر على طرائقه في الإدراك من جهة أخرى وتكوين ما أطلق عليه في كتاب التعليم وصناعة القهر جهاز الضبط الداخلي الذي نرى من خلاله الواقع .

وإذا كانت الثورة الإعلامية الثالثة - التي تلت ظهور المطبعة ووكالات الأنباء - كسرت احتكار المدرسة للمعرفة فإن البرامج التليفزيونية تقوم بدور رئيسي في النمو المعرفي والاجتماعي والاقتصادي بالإضافة إلى تأثيرها في تكوين الصورة الذهنية عن الدول والمواقف والأحداث وفي الطريقة التي يدرك بها الناس ويفكرون ويسلكون .

وهذا يعني أن مضمون المادة الإعلامية وما تحمله من توجهات وقيم ضمنية من الممكن أن يؤدي إلى إنضاج الوعي أو تزييفه وفقاً لمصالح من يمتلك توجيه الرسالة الإعلامية .

وفي إحدى الدراسات التي أجريت على المناطق التي كانت معزولة في شمال كندا أن البناء الثقافي والقيمى الأوروبي الكندي انتقل إلى المراهقين في لمناطق التي أدخل عليها الإرسال التليفزيوني مما زاد الهوة الثقافية بينهم وبين آبائهم .

وترجع أهمية التليفزيون إلى أنه يسهم في عمليات التنشئة الاجتماعية للطفل ربما لاعتقاد الآباء والأمهات أنه ينمي المهارات والعادات والقيم المرغوبة أو نتيجة انشغالهم في العمل من أجل الكفاف بالنسبة للطبقات المتوسطة والفقيرة أو لأنه أداة لشغل أوقات الفراغ لهم ولأولادهم

هذا في الوقت الذي أذابت فيه عمليات المشاهدة التليفزيونية الحواجز بين الأجيال في الأسرة الواحدة .

كما أنه يجذب انتباه الأطفال منذ العام الثاني والثالث من عمر الطفل،الأمر الذي يجعله شيئاً مألوفاً لديه في الأعوام التالية وكثيراً من الأبحاث تؤكد على أن الأطفال يقضون أوقاتاً ليست بالقليلة أمام التليفزيون وكثير منهم يفضلونه عن الإذاعة أو القراءة .

وتأتي أهمية التليفزيون بالنسبة للأطفال إلى أنهم يتعلموا من خلال النماذج البصرية السمعية المختلفة والصورة قد تعادل أكثر من عشرة آلاف كلمة في بعض الأحيان وبالتالي يمكن من خلال البرامج والأفلام والمسلسلات - الثقافة المصورة - الإسهام في تكوين عمليات التنظيم الذاتي التي تحقق الإنجاز في فهم المعاني والاهتمام بالعلاقات ،وإعادة تكوين السياق ،ووضوح الهدف،وحل المشكلات ،واستيعاب المفاهيم.

ويمكن من خلال المحاكاة والتقمص والتوحد واستخدام الأسلوب الاندماجي في بث القيم والمهارات والاتجاهات التالية :

- مهارات التفكير الابداعي حيث يقوم الفاعلين في المحتوى الإعلامي بتقديم أعمال تتيح للمتلقي متابعة توليد الأفكار والاسهام في توليدها واستخدام مهارات التنبؤ ووضع الفووض واكتشاف علاقات جديدة والتخيل والتعميم .
- مهارات التفكير الناقد مثل الوصف والمقارنة ، واكتشاف المتناقضات والمتشابهات في المادة الإعلامية والتصنيف والتحليل والتقويم .
- تنمية مهارات حب الاستطلاع عن طريق إعمال ثقافة التساؤل والتداعي الحر الطليق للأفكار .

- تنمية مهارات التفكير التباعدي من خلال رسم موضوع بأشكال مختلفة أو إعطاء أكثر من حل لمشكلة واحدة .
- تنمية قيم الجماعية والتسامح من خلال مشاهد تؤكد على تلك القيم وربما تسهم آلية الاستلهام والاستدعاء التاريخي لبعض الأحداث في تدعيم تلك القيم .
- التأكيد على عالمية وإنسانية قيم ومبادئ العدل الخير والمساواة وكافة حقوق الإنسان التي ناضل من اجلها كافة البشر مع إبراز الخصوصيات الثقافية التي تعلي من شأن تلك الحقوق وعرض للنماذج والشخصيات التي كافحت من أجل ترسيخ تلك الحقوق.
- المساعدة على التفكير التأملي الذي يساعد على تنمية القدرات الابداعية فالتعليم الحقيقي يقوم بناء المعارف وليس حفظها فمن الممكن تضمين المشاهد التمثيلية والبرامج الحوارية ما يلي :-

- الاستماع المهتم المتعاطف ، إعطاء نموذج للتفكير من خلال الخبرات السابقة
- اشتراك المرسل والمستقبل في عمل تعاوني أو الوصول إلى حلول لبعض المشكلات تشاركياً ،التعلم عن طريق حل المشكلات وتوقعها ،تشجيع المستقبل على التوجيه الذاتي كأن يسأل نفسه دائماً .

* استخدام مهارات تساعد على فهم ما يجري في العقل أثناء حل المشكلات من خلال الاستخدام الدائم لأدوات الاستفهام مثل لماذا ؟ ثم لماذا ؟ من أجل خلق نقاط للتركيز وهدفاً له ، وكيف ؟ ثم كيف؟ لتطبيق ما تم معرفته وربط المعرفة الجديدة بالذاكرة بعيدة المدى.

- نشر الثقافة العلمية وجعل الثقافة علمية حيث تقدير قيمة العلم والعلماء وتكرار التركيز على إنجازات العلماء باعتبارهم نماذج يمكن أن يحتذى بها .

وأخيراً يتضمن هذا العمل ويتناول أثر التغيرات الكوكبية على القيم ودور التربية في تدعيم القيم العربية الأصيلة التي لا تتناقض في جوهرها مع القيم الحداثية ذات الطابع الكوكبي وتتناول الدراسة خصائص المرحلة العمرية للأطفال التي تقدم لهم البرامج ثم تحليل مضمون المادة الإعلامية الموجهة لهم ، وانتهت الدراسة بتصميم مقترح لتنمية القيم والمهارات التي يجب أن يتم تدريب مرسل الرسالة الإعلامية عليها حتى يستطيع أن يرسلها إلى المستقبل وهذا الدليل هو تطوير للأدلة التي بدأت صياغتها وتطبيقها منذ عام ٢٠٠٠ إلا أن الباحثة قامت بالإضافة والموائمة ليناسب موضوع الدراسة .

وتضمن هذا الدليل مجموعة من الاستراتيجيات منها التعاون والتسامح،التفكير الناقد ،الإبداع،التفكير التباعدي ،المحافظة على البيئة، تنمية مفاهيم الهوية ، والمواطنة ،واستراتيجية المحافظة على النظام ، وتنمية قيم العدل والمساواة واحترام الآخرين وتحمل المسئولية وقيمة الوقت .

كما تضمن الدليل مجموعة من الأسس والمبادئ التي انطلق منها وآليات وأنشطة وأساليب تقويم الدليل .

وهذا العمل كان أطروحة للحصول على درجة الماجستير قامت به الباحثة منى كشيك المدرس المساعد بجامعة دمشق وهى باحثة مثابرة وتواقه إلى العلم والمعرفة بشتى فروعها وهو التكوين اللازم لكل باحث جاد في أصول التربية ،ولقد سعدت بالاشراف على هذا العمل مشاركاً للأستاذ الدكتور مصطفى عبد السميع عميد معهد الدراسات والبحوث التربوية بجامعة القاهرة .

أ.د طلعت عبد الحميد

كلية التربية - جامعة عين شمس